

الشيخ علي حسن غلوم

# من هدي الإمام المجتبي



الشيخ  
علي حسن غلوم

عَلَيْهِ السَّلَامُ

# من هدي الإمام المجتبي



المركز الإسلامي الثقافي

النجف الأشرف

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م



المركز الإسلامي الثقافي

النجف الأشرف

خليوي: ٩٦٤٧٨٠١٥٠٠٤٨٢+

## ديباجة

دعماً للجهود المباركة التي بدأها السيد الأستاذ شفيق الموسوي - المركز الإسلامي الثقافى / النجف الأشرف - والهادفة لنشر فكر وثقافة أهل البيت «عليهم السلام» أثناء المسيرة المليونية لأربعينية الإمام الحسين «عليه السلام»، وذلك بإقامة معرض كتاب لمدرسة أهل البيت، تم إصدار سلسلة كتيبات لسماحة الشيخ علي حسن غلوم يعرض فيها أقوال ومواقف رسول الله والأئمة الإثنى عشر «عليهم أفضل الصلاة والسلام»، وقد أصدر هذا العام خمسة كتيبات، بدأ فيها برسول الله، وانتهى بالإمام الحسين، وضمّنها بعضاً من خطبة ومقالاته، على أن تكتمل السلسلة المباركة في الأعوام اللاحقة.

إننا إذ نقدّم هذا العمل، فإننا نأمل في أن يكون نموذجاً يُحتذى به لخدمة مدرسة أهل البيت «عليهم السلام»، وأن يكون موضع تنافس ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

## المحتويات

- مقدمة ..... ٥ -
- ١. الولاء السياسي والعقدي ..... ٩ -
- ٢. كيف نقرأ تاريخ الأئمة عليهم السلام ؟ ..... ١٥ -
- ٣. قراءة في صلح الإمام الحسن عليه السلام ..... ٢٣ -
- ٤. الحسن عليه السلام والإمامة ..... ٣٢ -
- ٥. الإمام المجتبي عليه السلام في مواجهة الرُشى ..... ٣٥ -
- ٦. شبهة وردّ ..... ٤٠ -
- ٧. حَلِيم أهل البيت عليهم السلام ..... ٤٥ -
- ٨. من حكم الإمام الحسن عليه السلام ..... ٤٩ -
- ٩. من وصايا الإمام المجتبي عليه السلام ..... ٥٣ -
- ١٠. وإلا.. فمصيبتك أعظم ..... ٥٧ -
- ١١. حكمة حسنيّة ..... ٦٠ -
- ١٢. سلامة الفكر ..... ٦٣ -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين،  
والصلاة والسلام على حبيب قلوب العالمين سيدنا ونبينا  
محمد وعلى آله الطيبين الميامين.

بين يديك مختارات من خطب ومقالات تم تقديمها من  
قبل سماحة الشيخ علي حسن غلوم، إمام مسجد سيد هاشم  
بهبهاني في الكويت، وعلى مدى سنوات، ونعيد تقديمها تحت  
عنوان: من هدي الإمام المجتبي «علي السلام»، وتأتي ضمن  
سلسلة تصدر حول هدي النبي وآله «عليهم السلام»، ومقسّمة  
على أجزاء تم إعدادها وإخراجها بصورة تتناسب مع الهدف  
منها، وهو تقديمها إلى الجماهير المليونية المشاركة في  
مسيرة الأربعين الحسينية، ليتسنى لهم مطالعتها والاستفادة  
منها خلال رحلتهم سيراً على الأقدام، أملاً في أن نكون من  
المساهمين في تحقيق غاية من غايات النهضة الحسينية على  
صاحبها آلاف التحية والسلام، وهي إخراج الناس من ظلمات  
الجهل إلى نور المعرفة، اهتداءً بكتاب الله، واقتداءً بسنة  
رسول الله، وأتباعاً لهدي العترة المباركة.

اللجنة المشرفة



( ١ )

## الولاء السياسي والعقدي

بعد أن تمّت مبايعة الإمام الحسن «عليه السلام» من قبل الناس على إثر استشهاد أبيه أمير المؤمنين علي «عليه السلام» خطب قائلاً: (نحن حزب الله الغالبون، وعتره رسوله الأقربون، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمته، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنّ تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله «عز وجل» ورسوله مقرونة، قال الله «عز وجل»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾. وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فانه لكم عدو مبين فتكونوا أوليائه الذين قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا

تَرَاعَتِ الْفُتَاتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ  
إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ﴿ فَتُلْقُونَ إِلَى الرَّمَاحِ وَزُرًا أَتَمِينَ وَإِلَى  
السِّوْفِ جَزْرًا مَذْبُوحِينَ، وَلِلْعَمَدِ حُطْمًا، وَلِلْسِهَامِ غَرَضًا،  
ثُمَّ ﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي  
إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ .

#### • مشكلة المجتمع الكويتي:

من الواضح أن الإمام الحسن «عليه السلام» شخّص أهم  
مشكلة كان يعاني منها ذلك المجتمع الكويتي الذي وجّه اليه  
خطابه، حيث ركز على مسألة الطاعة له، ومن منطلق قرآني  
عقدي. فعلى الرغم من حالة التشيع والنصرة التي كانت تغلب  
على ذلك المجتمع، إلا أنه كان في مجمله تشيعاً سياسياً، فارغاً  
من المضمون العقدي، الأمر الذي أدى الى حالات عديدة من  
التمرد أو النكوص في الاستجابة لأوامر الحاكم، سواء أكان  
هو أمير المؤمنين علي «عليه السلام» أو الإمام الحسن المجتبي  
«عليه السلام» من بعده.

وقد شخّص أمير المؤمنين علي «عليه السلام» هذه الحالة  
من قبل إذ قال: (أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة،  
الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم أعطفكم  
على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة صوت

الأسد ! هيهات ان أُطْلَعَ بكم سرارَ العدل) أي تلمع بكم لوامع العدل، ويبرق وجهها (أو أقيم اعوجاجَ الحق) أي وأنتم على هذه الصورة (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك. اللهم إنّي أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالصلاة، وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة، فيهلك الأمة).

#### • السياسة بين الحق والدجل:

هذه هي السياسة في مفهوم الإمام علي «عليه السلام»، وهذا هو معناها اللغوي، فعندما تعود الى معجم لغوي ستجد ان تعريف السياسة: (القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة: فعل السائس، والولي يسوس رعيته).

ولكن السياسة ارتبطت في الذهنية العامة بالخديعة والغش والمصلحية والكذب وغير ذلك، ولما لم يجدوا ذلك عند علي «عليه السلام»، كما لن يجدوه عند الحسن، لم ينسجم كثيرون معهما في سياستهما. وكيف ينسجمون مع علي وهو القائل: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسبلها جلب شعيرة ما فعلته) (١٩).

قال ابن أبي الحديد: (وأما الرأي والتدبير: فكان من أسد الناس رأياً، وأصحهم تدبيراً.. وانما قال أعداؤه: لا رأي له، لأنه كان متقيداً بالشرعية لا يرى خلافاً، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه. وقد قال «عليه السلام»: لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء يقصد من الأمويين والعباسيين كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوقفه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، ومن كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب).

• وضع مأساوي متفجر:

هذا جانب من صورة الوضع الذي ورثه الإمام الحسن «عليه

السلام» عن أبيه، فالسياسة التي علّمهم الإسلام أنها اصلاح حال الناس أصبحت مجرد شعارات ابتعدت عن ان تكون أداة لتأكيد الحق والعدل في الحياة، وأرادوا لها ان تتحول الى أداة طيعة بأيديهم يستخدمونها وفق أهوائهم، لا دخولا في طاعة من أمر الله «عز وجل» بطاعته.

#### • مبايعة وتردد:

وقد جاء في كتاب الإمامة والسياسة: (لما قتل علي بن أبي طالب، ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعة، فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسلمون من سلمت، فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا أيديهم، وقبض هو يده. فأتوا الحسين فقالوا له: ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك، وعلى حرب المحلين الضالين أهل الشام، فقال الحسين: معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً. قال: فانصرفوا إلى الحسن، فلم يجدوا بداً من بيعته، على ما شرط عليهم).

#### • الإمام يصارح القوم:

مع هكذا نمط من الناس تعامل الحسن «عليه السلام»، ويبدو أن هذا الوضع استدعى من الإمام أن يتحدث اليهم بشكل واضح بعد مبايعة في أهم نقطة من نقاط الخلل الذي

كان يعاني منه ذلك المجتمع، وهو ما أشار النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» إليه ضمناً بقوله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) فتوليها يجب أن يكون مطلقاً غير متأطر بحدود التوافق مع الرأي الشخصي أو المصالح الضيقة.

وتجلّى الخلل بشكل كبير بعد ذلك أثناء الأحداث التي أدّت في النهاية إلى الرضوخ إلى الصلح، وهو ما لم يتحمّله بعض أنصاره، وهم ينظرون إلى جانب محدود من الصورة المساوية التي كانت جليّة بكلّها عند الإمام الحسن.

( ٢ )

## كيف نقرأ تاريخ الأئمة ؟

المسار التاريخي الممتد للواقع الذي عاشته بعض الكيانات، قوةً أو ضعفاً، غلبةً أو قهراً، ظالمين أو مظلومين، يؤثر في طريقة قراءة أجيالها اللاحقة لذلك التاريخ، إذ عادةً ما يتم إسقاط تلك الحالة على كل الصورة التاريخية، وإن اختلفت في الواقع في أجزائها وتفاصيلها.

وإذ عاش أتباع مدرسة أهل البيت «عليهم السلام» في أغلب فترات العهد الإسلامي وضعاً غلب عليه طابع الاضطهاد والمظلومية، فقد أثر هذا في طريقة قراءتهم لتاريخ آل النبي «صلى الله عليه وآله»، بحيث أسقطوا رؤيتهم وأحاسيسهم وأمنياتهم وردود أفعالهم على هذه القراءة، ولربما جنحوا أحياناً إلى اعتماد قراءة قاصرة أو تأويلية للأحداث وللشخصيات بما يتواءم مع تلك الرؤى والأحاسيس والرغبات.

### • القراءة الثورية:

فهناك القراءة الثورية المحضة التي لا ترى في حياة الأئمة «عليهم السلام» إلا المواجهة الميدانية مع السلطات القائمة،

وتحتار في كيفية تبرير سلوك سبعة من الأئمة، ابتداءً من الإمام محمد الباقر وانتهاءً بالإمام الحسن العسكري، الذين لم يشاركوا في أية حركة ثورية، على الرغم من خروج أقرب المقربين إليهم أحياناً.

فالإمام محمد الباقر «عليه السلام» لم يخرج ثائراً مع أخيه زيد «رضوان الله عليه» في العهد الأموي، كما أن الإمام الرضا «عليه السلام» لم يخرج مع عدد من إخوانه، كزيد وإبراهيم وحمزة، وعمّه محمد الديباج ابن جعفر الصادق الذين ثاروا على عهد العباسيين، وهكذا لم يخرج الإمام موسى الكاظم «عليه السلام» من قبل مع الثائرين من آل البيت وعلى رأسهم الحسين الحسنی، المعروف بصاحب فخّ، على الرغم من عدم معارضته لأسباب ثورتهم.

#### • القراءة المأساوية:

وهناك القراءة المأساوية المحضة التي لا ترى في سيرة أهل البيت «عليهم السلام» إلا صور المآسي والظلمات والمصائب من اعتقال وسجن وتعذيب وقتل بالسيف وبالسم، وهي لاشك حقائق ووقائع، ولكنها لا تمثل كل الصورة، ولذا تضطر هذه القراءة إلى تجاهل الإنجازات وصور التعامل الإيجابي مع الآخر، وتحتار في تفسير مواقف من قبيل زواج الإمام الرضا

«عليه السلام» بابتة المامون، ثم زواج ابنه محمد الجواد «عليه السلام» بالابنة الأخرى، وفي اللقاءات التي كانت تجري بين الأئمة وبين بعض حكام زمانهم بما يحيطها أحياناً من حفاوة، وفي الأموال والهبات التي كانت توزع من قبلهم «عليهم السلام» على المحتاجين والفقراء، والممتلكات التي كانوا يديرونها من بساتين وأعمال تجارية وغير ذلك، فكيف يتواءم كل هذا مع الوضع المأساوي كصورة وحيدة يقرؤها أو يقدمها البعض لسيرة الأئمة «عليهم السلام»؟

#### • القراءة السلبية:

وهكذا لا يقدم البعض الأئمة «عليهم السلام» إلا في المشاهد العلمية والعبادية ذات البعد الفردي، وكأنهم كانوا بعيدين عن الواقع الذي يعيشونه، معزولين عن الأحداث المحيطة بهم، لا شأن لهم بالسياسة والثورة على الظلم، ولا اهتمام لهم بالقضايا العامة.

#### • انعكاسات القراءة الناقصة:

هذه القراءات الناقصة لها سلبية أخرى بجانب السلبية «المعلوماتية» وهي ترتبط بالاستناد عليها كأسس لتكوين الرأي الشرعي أو الموقف العملي تجاه قضايا الحاضر، أو في أسلوب التعاطي مع الأحداث، أو في طريقة تكوين الشخصية الموالية

لأهل البيت عليهم السلام.. هل تُبنى على أن تكون ثورية معارضة مقاتلة على طول الخط؟ أم تكون شخصية منعزلة منكفئة على البعد العبادي الفردي؟ هل تنطلق في الأطر العلمية والأكاديمية فحسب، وتتغافل عن أي حراك يدور حولها؟ هل تتصالح مع حكومات الزمان أم تتقاطع معها؟ هل تفتح على الآخر المختلف معها، سواء على المستوى الرسمي أو العلمي أو الشعبي، أم تعيش التقية الدائمة التي تدفع إلى التحصين الذاتي؟

#### • صورة فسيفسائية:

من الواضح أن سيرتهم «عليهم السلام» متنوعة، بين تجربة حكم للإمامين علي وابنه الحسن، وثورة حسينية، وعطاء علمي وروحي على يد السجاد والباقر والصادق والكاظم، وتجربة ولاية عهد للرضا، ثم الصيرورة تحت الرقابة المباشرة أو ضمن بيت الخلافة العباسية على عهده ثم الجواد فالهادي فالعسكري.

ولذا فإن من يريد أن يعتمد على سيرتهم في بناء رؤية شرعية أو فكرية لابد وأن ينظر إلى كل هذه الصورة الفسيفسائية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن سيرة الحسين «عليه السلام» لم تكن ثورية في كل مراحلها، بل مثلت الأشهر القليلة

من أواخر حياته المباركة، بينما استمر في مهادنة معاوية إلى أن مات الأخير.. وهكذا فإن سيرة الحسن «عليه السلام» لم تكن صلحاً محضاً، بل عايش فتنة الخليفة عثمان، ووقف موقف المانع من قتله، وخاض مع أبيه حروبه، وتوجّه بجيشه نحو الشام بعد مقتل علي «عليه السلام»، إلا أن الظروف لم تمنعه على الحرب فجنح للسلم.

#### • تكرار الخطأ:

إننا ونحن نستهجّن موقف بعض أصحاب الحسن «عليه السلام» منه بعد أن عقد معاهدة الصلح عام ٤٠هـ، ونستغرب الموقف الحدي الصادر من عبدالله بن الحسن بن الإمام الحسن المجتبي تجاه الإمام جعفر الصادق حين رفض الانضمام لتحالفهم مع العباسيين ضد الأمويين، حتى قال له عبدالله: (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُطْلِعْكَ عَلَى غَيْبِهِ، وَلَمْ تَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا حَسِداً لَابْنِي)!

إننا في نفس هذا الوقت قد نكرر نفس الخطأ الذي وقعوا فيه حين نقرأ الإمام في موقع الحكم فقط، أو في موقع الثورة فقط، أو في موقع العبادة فقط! فلا نرتضي موقفاً لهم، أو نحكم على نص تاريخي مرتبط بسيرتهم بالاستحالة والبطلان، لمجرد مخالفته للصورة القاصرة التي بنيناها في أذهاننا عن

سيرتهم، وهذا يعني أننا لو عايشنا عصرهم لوقعنا في نفس المخالفات التي نلوم عليها من عايشهم، لأننا نفصل سيرتهم على المقاسات التي حددناها في أذهاننا من قبل.

#### • انعكاسات خاطئة:

بل وقد نرسم لهم صورة شخصية في أذهاننا منطلقة من شخصياتنا وطبيعة أحاسيسنا وأخلاقياتنا وتصرفاتنا، فنتصور أنّ ردود أفعالهم وتصرفاتهم ستكون مشابهة لهذه الصورة أو في سياقها.

ولذا يقع البعض في حيرة في فهم حقيقة المصاهرات بينهم وبين الآخرين ممن اختلفوا معهم، بل ولربما رفعوا السيوف في وجوههم.. فقد تزوج الحسن من ابنة الصحابي طلحة، وبعد استشهاده خلفه عليها الحسين، الذي تزوج أيضاً من حفيدة أبي سفيان وهي ليلى أم علي الأكبر، وتزوج الباقر من حفيدة الخليفة أبي بكر، فولدت له الإمام جعفر الصادق الذي كان يقول كما نقل عنه السنة والشيعة: (ولدني أبوبكر مرتين)، وكأنّ الإمام يقول إنه جدي، فإن كنتم تحترموني فلا تسيئوا إلى جدي؟!!

كما أسموا أبناءهم بأسماء بعض الخلفاء وبعض الشخصيات التي عاشت النزاع معهم حول موضوع الحكم،

فلعلي «عليه السلام» أبناء منهم عمر، وعثمان، وكنية أحدهم أبو بكر.. وللحسن: عمرو وعبدالرحمن وطلحة وأبو بكر، وللإمام زين العابدين «عليه السلام»: عمر وعبدالرحمن.. وقد يقول قائل إنها أسماء مشتهرة ومعروفة ولا تشير إلى أحد بعينه، ولكن أقول ما الذي كان يدفعهم إلى اختيار هذه الأسماء مع وفرة الأسماء العربية الأخرى؟

#### • طهارة الروح:

لقد عاش الأئمة «عليهم السلام» طهارة الروح، فلم يحملوا في قلوبهم حقداً يدفعهم إلى مقاطعة الحاكم والمجتمع. سواء على مستوى المصاهرات أو الأسماء أو التواصل الاجتماعي أو المشورة الصادقة أو مد يد العون بما يعود على الأمة بالخير والمنفعة. وإن اختلفوا معهم، ولا لصب اللعنات على الأمة، أو الاندفاع لتدمير مكتسبات الأمة من أجل الوصول إلى سدة الحكم، على الرغم من يقينهم وتصريحهم في مناسبات كثيرة بأنهم الأولى من غيرهم بهذا الأمر.

#### • حَمَل الأمانة:

إنَّ الحقيقة التي يجب أن نعرفها أن الأئمة في مواقفهم وعلاقاتهم لم يتحركوا من موقع العاطفة والانفعال، ولا بدافع تحقيق المصالح الشخصية، بل كانت أولويتهم أن يحملوا

الأمانة التي حملهم إياها رسول الله «صلى الله عليه وآله»  
حيث قال: (إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا:  
كتاب الله، وعترتي أهل بيتي)، وأن يخدموا الرسالة، وأن  
يحققوا للأمة مصالحها، مهما جرّ ذلك إليهم من ظلم وجور،  
وقد قال سيدهم علي «عليه السلام»: (لقد علمتم أنني أحق  
بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم  
يكن فيها جور إلا علي خاصة، إلتماساً لأجر ذلك وفضله،  
وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه).

( ٣ )

## قراءة في صلح الإمام الحسن عليه السلام

لماذا صالح الإمام الحسن «عليه السلام»؟ لماذا لم يصرّ على القتال والمواجهة ولو أدّى ذلك إلى استشهاد؟ هل للعناصر الشخصية والنفسية دور في اختلاف موقفي الحسن والحسين «عليهما السلام»؟

### • سؤال خاطيء:

أعتقد أن من الخطأ أن نسأل: لماذا صالح الإمام الحسن، فقد صالح النبي «صلى الله عليه وآله» المشركين من قبل، كما صالح أمير المؤمنين «عليه السلام».. ولربما الأنسب أن نتساءل: لماذا سلّم الإمام الحسن الحكم لغيره؟ لماذا تنازل عن حقّه في الحكم ليصير في يد الأمويين؟ هذا هو السؤال.

من أحب أن يطّلع على الإجابة التفصيلية لهذا التساؤل فأنصح بقرأة كتاب «صلح الحسن» للمرحوم العلامة الشيخ راضي آل ياسين. وما سأقوم به هو مجرد عرض لأفكار رئيسة حول الموضوع بما يجيب عن بعض الأسئلة ذات العلاقة إجمالاً.

## • أولاً، اختلاف العناصر الذاتية:

١. لا شك أن لكل إنسان عناصره الشخصية، العقلية والنفسية والجسمانية الخاصة به، وأن هذه العناصر تؤثر في قراراته وأفعاله وتروكه؛ والأنبياء والأئمة «عليهم السلام» ليسوا استثناءً من ذلك، فلا يوجد نبي هو نسخة طبق الأصل من نبي آخر.. ولا إمام هو نسخة طبق الأصل من إمام آخر. ولكن هل هذا يعني أن الحسين لو كان في موقع الإمامة بدلاً من الحسن لكان أخذ قراراً عدم الموافقة على بنود الصلح بناءً على عناصره النفسية كالشجاعة والجرأة التي تميّز بها في مقابل ما تميّز به الحسن من مهابة وحلم كما في بعض الروايات - على فرض صحتها - أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: (أما حسنُ فله هيبتي وسؤددي، وأما حسين فله جرأتي وجودي)؟

الأمر في ذاته محتمل، فالنبي موسى «عليه السلام» طلب من الله «سبحانه وتعالى» مساندة أخيه هارون عندما أمره بالذهاب إلى فرعون.. لماذا؟ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ، وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ «الشعراء: ١٢-١٣». وهذا يعني أن في هارون «عليه السلام» من السمات الشخصية ما يختلف به عن موسى «عليه السلام»، ومن بينها سعة الصدر.

ونجد الله «عزوجل» يذكر أخوين بصفتين مختلفتين، أما الأكبر إسماعيل «عليه السلام» فيصفه بما سيميّز به من حلم: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ «الصفات: ١٠١»، وأما الآخر، إسحاق، فيصفه بما سيميّز به من ذكاء وعلم: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ «الذاريات: ٢٨».

وهكذا تعامل النبي موسى «عليه السلام» مع صناعة وعبادة العجل الذهبي بطريقة مختلفة عن تلك التي تعامل معها النبي هارون «عليه السلام»: ﴿... وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ «الأعراف: ١٥٠» وفي موضع آخر: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَا تَتَّبِعُنَ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي، قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي.... وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ «طه: ٩٢-٩٧». ظروف وموقعية وطبيعة كل فرد وخصائصه الشخصية - ولو كان من الأنبياء - تختلف.

إلا أن دراسة المعطيات التاريخية لا تساعد على تصوّر أن الحسين «عليه السلام» ما كان ليقبل بذلك الصلح لو كان في مكان أخيه، وأنه كان سيقاقل إلى الآخر.

ومما يؤيد ذلك ما جاء في بعض المصادر ومن بينها كتاب «الأخبار الطوال» للدينوري حول التحركات التي قام بها بعض أهل الكوفة لتغيير موقف الإمام الحسن بعد الصلح وبعد أن كشف معاوية عن نواياه، وفشلهم في ذلك.

يقول الرواة: (ثم خرجنا من عنده، ودخلنا على الحسين، فأخبرناه بما رد علينا، فقال: صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته) أي ملازماً لبيته، كناية عن عدم الثورة (ما دام هذا الإنسان) أي معاوية (حياً).

ثم إن الإمام الحسين «عليه السلام» حافظ على موقفه هذا لعشر سنوات طوال عهد معاوية... ففي نفس المصدر أن أهل الكوفة كتبوا للحسين بعد استشهاد الحسن يعلنون له استعدادهم للخروج فكتب إليهم: (أما أخي فأرجو أن يكون الله قد وفقه وسدده فيما يأتي، وأما أنا فليس رأيي اليوم ذلك، فالصقوا رحمكم الله بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حياً).

#### • ثانياً، انقلاب وخذلان:

ثم إن الإمام لم يبادر لتسليم الحكم لمعاوية ضمن الصلح منذ بداية استلامه للحكم، بل الظروف هي التي استدعت أن يقوم بذلك.

فبعد استشهاد أمير المؤمنين علي «عليه السلام» والتي جاءت في ظروف دعوته للتعبئة العامة لخوض حرب جديدة مع معاوية، عبأ الحسن «عليه السلام» الناس، وخرج إلى معسكره، وحصل الانقلاب عليه وهو في المعسكر.

والكلام طويل في تفاصيل ذلك الانقلاب والخذلان من أقرب الناس إليه ومن رؤساء القبائل والعشائر المشاركة في عسكره، والذي تم من خلال:

أ. شراء الذمم، ولاسيما ذمم القيادات والشخصيات النافذة.

ب. نشر الإشاعات، تارة أن الحسن يكتب معاوية على الصلح، فلم تقتلون أنفسكم؟ وأخرى أن معاوية اشترى من القيادات من يعتقل الإمام ليسلمه له، وثالثة أن معاوية قد دس من يفتاله.

ج. اضطراب معسكر الإمام بسبب بعض هذه الإشاعات إلى الحد الذي دفع الكثيرين لنهب المعسكر أو تركه.

د. تعرّض الجراح بن سنان الأسدي لاغتيال الإمام وإصابته في فخذه إصابة بليغة اشتدت به العلة بسببها.

وأمر عديدة ليس هذا مجال التفصيل فيها، ولكن ملخص الصورة أن:

أ. طبيعة تركيبة جيش الإمام.

ب . الأساليب التي اعتمدها معاوية ونجح من خلالها في تقطيع جيش الإمام وبث الفرقة فيه وتأليه على قيادته.

ج. خوف الإمام «عليه السلام» على الثلة الباقية من المؤمنين أن تقضى في حرب غير متكافئة.

كل هذه العوامل دفعته إلى قبول ذلك الصلح الذي يتضمن تنازله عن الحكم مؤقتاً. ولكي نعي معنى التنازل المؤقت ننقل إلى النقطة الثالثة والتي نعرض من خلالها مضمون الصلح.

#### • ثالثاً، مضمون المعاهدة:

جاء في معاهدة الصلح: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان: صالحه على أن يُسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله» وسيرة الخلفاء الصالحين، وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً) هنا روايتان، إحداهما «بل يكون الأمر بعده للحسن ثم لأخيه الحسين»، والأخرى: «بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين» (وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمَنهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون

على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء وبما أعطى الله من نفسه، وعلى أن لا يبغى للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» غائلة سراً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق).

فعلى الروایتين لا شيء من البنود يتضمّن استمرار الحكم في البيت الأموي، بل إما عودة الحكم لأحد الإمامين «عليهما السلام»، أو جعلها شورى بين المسلمين.. وهل كانت لتصل بالشورى إلى يزيد؟ لا أحد يتصوّر ويتقبّل ذلك، لما عُرف عنه من لهوه واهتماماته وعناصر شخصيته.

#### • الحفاظ على الثلة المؤمنة:

صرّح الإمام الحسن «عليه السلام» لاحقاً بأن من أهم الأسباب التي دفعته لقبول التنازل عن الحكم مؤقتاً خوفه على الثلة المؤمنة الباقية من أن تقنى، والذي يعني أن الجوّ سيصبح كله أمويّاً.

ومن أمثلة ذلك قوله: (لست مُدلاًّ للمؤمنين، ولكني مُعزّهم، ما أردت بمُصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل، عندما رأيت تباطؤ أصحابي ونكولهم عن القتال).

وقوله لأحد الخوارج: (وَيْحَكَ أَيُّهَا الْخَارِجِيُّ، لَا تَقْضُ، فَإِنَّ الَّذِي أَحْوَجَنِي إِلَى مَا فَعَلْتَ قَتَلْتُكَ أَبِي، وَطَعَنْكَ إِيَّايَ، وَانْتَهَابَكُمْ مَتَاعِي، وَإِنَّكُمْ لَمَّا سَرْتُمْ إِلَى صَفَيْنَ، كَانَ دِينُكُمْ أَمَامَ دُنْيَاكُمْ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ وَدُنْيَاكُمْ أَمَامَ دِينِكُمْ. وَيَحْكَ أَيُّهَا الْخَارِجِيُّ، إِنِّي رَأَيْتُ أَهْلَ الْكُوفَةِ قَوْمًا لَا يُوَثِّقُ بِهِمْ، وَمَا اغْتَرَّ بِهِمْ إِلَّا مِنْ ذُلٍّ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَافِقُ رَأْيَ الْآخِرِ، وَلَقَدْ لَقِيَ أَبِي مِنْهُمْ أُمُورًا صَعْبَةً، وَشِدَائِدَ مُرَّةٍ، وَهِيَ أَسْرَعُ الْبِلَادِ خَرَابًا، وَأَهْلُهَا هُمُ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا).

#### • ضرورة التجربة الحية:

إن تنازل الإمام الحسن «عليه السلام» عن الحكم ضمن الصلح كان تنازلاً مؤقتاً، ولم يكن حالة ضعف أو حالة هروب من الشهادة. لقد أراد الإمام بذلك أن يفسح المجال للناس ليدرسوا الأمور من خلال الواقع البديل الذي سيتبلور تدريجياً من خلال انتقال الحكم إلى معاوية، فالواقع الإسلامي سيتغير بشكل كبير، وحينها ستتحرك المعارضة من خلال ردّة الفعل على هذا الواقع الذي عايشوه وعانوا منه، بعد أن كانوا فقط يسمعون التحذيرات منه في كلمات الإمام علي، ولن تكون حركتهم هذه المرة طاعةً فقط لأوامر القيادة واختياراتها.. وهذا سينمّي المعارضة وقواعدها، ولربما يسمح المستقبل بالحركة من جديد.

وهكذا كان، إذ لم تمض سنون على ذلك إلا وكانت هناك قاعدة شعبية تنتقد، وتعترض.

ثم جاءت انطلاقة الحسين «عليه السلام» بعد موت معاوية لتمثّل الصدمة التي أراد من خلالها أن يهزّ الواقع هزةً عنيفةً من الأعماق، ممّا غير المعادلة على الأرض، وبدأت دولة آل أمية تفقد شرعيّتها لتتآكل تدريجياً من الداخل وتتهار أمام الثورات والانشقاقات التي واجهتها. لقد صالح الحسن من واقع المسؤولية، وثار الحسين من واقع المسؤولية، كل بحسب الظروف والمعطيات التي فرضت هذه الصورة أو تلك.

( ٤ )

## الحسن عليه السلام والإمامة

أثار البعض مؤخراً إشكالاً مفاده أن صلح الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام» وتنازله عن الحكم يطعن في إمامته وصلاحيته لها، وكان له أن يُقدّم الموت على الحياة بهذه الصورة.

هذه القراءة الخاطئة لصلح الإمام الحسن ليست شبهة جديدة، فقد واجه الإمام بنفسه ذلك بُعيد الصلح مباشرة، فقد خاطبه أكثر من واحد من أنصاره بعبارة: (يا مدل المؤمنين) و (يا مسود وجوه المؤمنين) و (يا مسخم وجوه المؤمنين) وأمثال ذلك!

وردُّ هذه الشبهة يستغرق بحثاً تفصيلاً طويلاً، ولكن سأختصره في نقاط:

١. هناك تصور عام خاطيء وهو أن الأصل في الإمامة الثورة على الظلم والباطل، وهذا التصور غير دقيق، فعلي «عليه السلام» لم يثر، وقاتل بعدما قوتل من قبل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وهكذا كان الحسين «عليه السلام» لمدة عشر سنوات بعد  
استشهاد الحسن «عليه السلام»، وهكذا لم يثر الإمام زين  
العابدين ولا الباقر ولا الصادق ولا من جاء بعدهم من أئمة  
أهل البيت «عليهم السلام».

فللثورة شرائطها ومقوماتها، وليست هي الأساس والمحور  
في مهمة الإمام والدور الأصيل المناط به كي نخطيء الحسن  
لأنه لم يثر كالحسين.

٢. اضطر الإمام الحسن «عليه السلام» إلى الصلح في  
أجواء مواجهة عسكرية جاءت مباشرة بعد استشهاد أبيه،  
وبعد إصرار معاوية على المواجهة والقتال والتمرد.. فلماذا لا  
يؤخذ هذا بعين الاعتبار؟

٣. لم يتوقف الإمام الحسن عن المواجهة إلا بعد أن خانته  
كبار رجالات عسكره من رؤساء القبائل، وانضمت إليهم  
جموع رجالات تلك القبائل، حتى تجرأ بعضهم ونهب المعسكر  
وحاولوا اغتيال الإمام وأصيب بجرح بالغ في فخذه.

٤. جاء الصلح متضمناً لبنود أريد لها أن تكون صمام  
أمان للحكم البديل، وخلاصاً للمؤمنين من القتل والمطاردة  
والسجن، وضماناً لحقوقهم المالية، وأن يتم تسليم الخلافة  
للحسن أو الحسين بعد معاوية، وغير ذلك من البنود التي أكد

معاوية الالتزام بها، ولكنه لم يفعل.. وهذا ليس ذنب الإمام.  
٥. بين الإمام في بعض كلماته إحدى العلل التي من أجلها  
تنازل عن الحكم، حيث قال: (خشيت أن تُجثثوا عن وجه  
الأرض). فمن سيحمل الرسالة ويكمل المشوار لو قُتلت هذه  
الفئة القليلة؟

وأما عندما استشهد الحسين «عليه السلام» فقد بقيت  
باقية حملت الرسالة، بل انضم إليهم الآلاف، لأن التوقيت  
والظروف التي جاء فيها استشهاد الحسين كانت تثمر هذه  
الثمرة، على خلاف ما لو أصر الإمام الحسن «عليه السلام»  
على الاستمرار في المواجهة فقتل، وقتل من كان معه.

إن من الخطأ أن نقرأ سيرة الإمام الحسن المجتبي «عليه  
السلام» ونقيّمها بمسطرة واحدة مع سيرة الثورة الحسينية،  
فلكل ظرفه... ولو كان الحسن موجوداً في الموقف الذي وقفه  
الحسين يوم كربلاء لما تردد في المواجهة والتضحية، فالحسن  
سيد شباب أهل الجنة كما الحسين، والحسن إمام كما  
الحسين إمام، قاما أو قعدا.

( ٥ )

## الإمام المجتبیؑ في مواجهة الرُشى

قال «تعالى»: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ «إبراهيم: ٢».

تعرّض القرآن الكريم في أكثر من مورد لنموذج من الناس الذين يقعون بين خيارين حاسمين، في القرارات الكبرى والمصيرية بالنسبة إليهم.. إما الدنيا، وإما الآخرة، في الوقت الذي تكون فيه الصورة جليّة.. فيختارون الدنيا لا عن جهل، بل لأنهم يحبون العاجلة: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ «الإنسان: ٢٧».

### • تقوية الباطل:

ومن خلال هذا القرار المصيري، ينطلقون لتقوية مواقع الباطل، ضد أولياء الله «عز وجل»، وضد الدعاة إلى الله، ولعرقلة مسيرة الدين وتحريفها، ولذا جاء في الآية ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. هؤلاء قد يكونون من القادة والمقاتلين، كما هو حال عمر بن سعد، الذي قال:

أأتترك ملك الرِّيِّ والرِّيُّ مُنيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين؟  
وقد يكونون من الوجهاء أو زعماء العشائر أو السياسيين  
أو الأدباء، بل وحتى من العلماء، وإلى المستوى الذي يصيب  
بالغثيان.

روى الخطيب البغدادي: (أن أبا البختري دخل وهو قاض  
على الرشيد، وهو إذ ذاك يُطَيِّر الحمام فقال: هل تحفظ في  
هذا شيئاً؟ فقال: حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة  
أن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يُطَيِّر الحمام،  
فقال الرشيد: اخرج عني. ثم قال: لولا أنه رجل من قريش  
لعزلته)...

#### • شراء الضمائر:

للشيخ عبدالسلام ياسين «رحمه الله» - مؤسس جماعة  
العدل والإحسان في المغرب - كلمة جميلة في هذا الشأن في  
كتابه «الشورى والديمقراطية»: (كان في الكوفة عشرة رجال  
هم شيوخ العشائر وقادة الرأي العام كما نعبّر في زماننا.  
اشترى ضمائرهم المغيرة بثلاثين ألف درهم وبعثهم مع ابنه  
موسى إلى معاوية ليقترحوا عليه تولية يزيد ابنه العهد  
من بعده. حاشية تتزلف، والمتزلف إليه ماهر في معرفة  
اللعبة. فسأل معاوية موسى: بكم اشترى أبوك من هؤلاء

دينهم ؟ قال موسى: بثلاثين ألف درهم. قال معاوية: لقد هان عليهم دينهم). نعم، هان عليهم دينهم، فباع كل منهم دينه وأخرته بثمن يتناسب ونقطة ضعفه. قال الشيخ ياسين: (كان الأتقياء شحيحين بدينهم، وكان المنافقون يتاجرون في الدين.. أما زياد فقد كان من قواد جيش الإمام علي كرم الله وجهه... ولم يكن ليبيع دينه وكفأته بdraهم ودنانير.. فاستلحقه معاوية بنسبه، وأمره على البصرة ثم الكوفة... خزي الزنى، وخزي أبناء الزنى، وخزي اصطناع أبناء الزنى لدعم عرش ملكي... ما نشاهده اليوم من حمية وغضبية عند إخواننا الشيعة، إن هو إلا انفجار لما بقي يغلي في صدور المسلمين من غيظ على ما فعله بنو أمية بآل البيت).

#### • معاناة الحسن:

وقد عانى الإمام الحسن «عليه السلام» من هكذا نموذج أيما معاناة، لأنَّ منهم مَنْ كان من الأعيان والقادة، بل إنَّ منهم مَنْ كان من أقربائه، فتخلوا عن نصره الحق، وإمام الحق وصدّوا عن سبيل الله بعد أن باعوا آخرتهم بدنيا حقيرة.

#### • سقوط القادة:

عندما شكّل الإمام الحسن القسم الأول من الجيش، وهو المقدمة، جعل القيادة لعبيد الله بن العباس، وبحلولهم في

«مَسْكَن: جنوب سامراء بالقرب من بلدة الدجيل» وصلت الرشاوى لمجموعة من الزعماء، وهي بين مبالغ مالية ومناصب رفيعة، فتسللوا من معسكر الحسن والتحقوا بمعسكر معاوية، وكتب عبيد الله إلى الإمام بما جرى. ثم أغري القائد عبيد الله نفسه بالرشوة، بمبلغ مليون درهم، نصفها معجلة، فانسحب إلى معسكر الشام، وروي أن ثمانية آلاف مقاتل انسحبوا معه، حتى أصبح الباقيون وليس لهم إمامٌ يصلي بهم الفجر!

وكان الإمام قد بعث قائداً من كندة إلى الأنبار، ومعه أربعة آلاف مقاتل، فأرسل إليه معاوية: (إنك إن أقبلت إليّ أولئك بعض كَوَرِ الشام والجزيرة غير منفس عليك) أي لتتصرف فيها كما تشاء. وأرسل إليه خمسمائة ألف درهم، فانحاز الكندي إلى معاوية ومعه مائتين من خواصه!

ولما أرسل الإمام قائداً بديلاً من قبيلة «مراد» وقد أقسم أن لا يخون، فإذا به يكرر ما فعله صاحبه. ثم تحوّل الأمر إلى ظاهرة مغرية، بحيث بات أمثال هؤلاء يبادرون بمكاتبة معاوية عارضين عليه بيع دينهم وآخرتهم!

#### • في المدائن:

أما الإمام الحسن «عليه السلام» فقد كان حينها في «المدائن: جنوب بغداد» لاستكمال تشكيل جيشه، فلما سمع من

في معسكره بتبدل الحال، انقلبوا عليه، ونهبوا ما في المعسكر،  
وحاولوا اغتياله وأصيب بخنجر في فخذه!

### • نماذج فاسدة:

إنّ هذا النموذج الفاسد والمنافق لعبيد الله والكندي والمرادي، من الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، وانقلبوا من معسكر الحق إلى معسكر الباطل، فصدّوا عن سبيل الله، هذا النموذج لا تختزنه أحداثُ التاريخ فحسب، بل إنّ مصاديقه تتجلى في كل زمان، كعين الشمس.. وكم عايشنا من سياسيين ومراهقي عالم السياسة وحزبيين وزعماء وعلماء قد نحوا هذا المنحى، فباعوا ضمائرهم وأوطانهم ووعدوهم وموathيقهم وأيمانهم والمصالح العامة مقابل المال أو الشهرة أو المنصب أو الزعامة، باعوا آخرتهم بدنيا زائلة، في مواقف مصيرية.. إنّ قُبْح هذه الصورة لا يُغْطِيه شَيْءٌ، وإنّ سعى كثيرٍ من الناس لتزيينها، ولخداع أنفسهم قبل أن يخدعوا الآخرين.. فمهما صفّقوا لهم ومجّدوهم واختلقوا لهم المبررات، اغتراراً بهم، أو طمعاً في شَيْءٍ من فتات موathدّهم الملوّثة.. ومهما أمهل الفاسدون فتمتّعوا بما منّوا به أنفسهم، إلا أنّ ما سوّده من صفحات التاريخ سيبقى شاهداً عليهم، وليُلاحقهم عارُ ما فعلوا. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ «البقرة: ٨٦».

( ٦ )

## شبهة ورد

من الشبهات التاريخية التي أثّرت حول الإمام المجتبى «عليه السلام» أنه كان مزوّجاً مطلقاً؟ فما مدى صحة هذه المقولة؟

الموافقون المصحّحون لهذه المقولة قالوا:

١. لا مانع بحسب الشريعة الإسلامية المقدسة من كثرة الزواج، ويتوافق مع قول النبي «صلى الله عليه وآله»: (تناكحوا تناسلوا حتى أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط). وقد كانت عند النبي ثلاث عشرة زوجة وسرية.
٢. أراد الإمام أن تقوى شوكته ضد الأمويين بكثرة المصاهرات.

٣. أن أولياء النسوة كانوا يعرضون بناتهم على الإمام لأجل التشرف به والتقرب إليه لأنه ريحانة النبي وسبطه.
- أدلّ المعارضين:

أما المعارضون النافون لهذه المقولة فقد قالوا:

١. الحديث ليس عن الزواج فقط، بل الطلاق أيضاً، وكرهية الطلاق شرعاً معلومة. وقد روي عن الصادق «عليه السلام»: (إن الله يحب البيت الذي فيه العرس، ويبغض البيت الذي فيه الطلاق). وعنه «عليه السلام»: (ما من شئ مما أحله الله أبغض إليه من الطلاق، وإن الله «عز وجل» يُبغض المطلق الذواق).

٢. منافاة ذلك مع هدي الإمام الحسن «عليه السلام»، والمثل العليا للأخلاق الفاضلة، فلا يتناسب مع شخصية الإمام «عليه السلام».

٣. نحن لا نتحدث عن رقم طبيعي في التعداد، فالقائلون بهذه الكثرة قالوا: أنه تزوج بسبعين أو تسعين أو مائتين وخمسين أو ثلاثمائة!

#### • تمحيص المسألة:

ولنا ملاحظات نسجلها على المؤرخين الذين رووا ذلك:

١. صاحب القول الأول: علي بن عبد الله المدائني الذي يروي عنه ابن أبي الحديد المعتزلي: وهو من الضعفاء، وقد قال له الأصمعي: (والله لتتركن الإسلام وراء ظهرك). كان يروي عن عوانة بن الحكم الذي كان يضع الأخبار لبني أمية، كما كان المدائني يبالغ في تمجيد الأمويين.

٢. صاحب القول الثاني: مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجي الشافعي، ورواها مرسلّة بلا سند.

٣. صاحب القولين الثالث والرابع: أبو طالب محمد بن علي المكي صاحب كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب من كتب الصوفية، قال: (وتزوج الحسن بن علي مائتين وخمسين وقيل ثلاثمائة، وكان علي يضجر من ذلك ويكره حياءً من أهلهم إذا طلقهن، وكان يقول: إنَّ حسناً مطلقاً فلا تنكحوه. فقال له رجل من همدان: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء، فمن أحب أمسك، ومن كره فارق. فسرّ عليّ بذلك وأنشأ يقول:

ولو كنت بواباً على باب جنة      لقلت لهمدان ادخلوا بسلام  
وهذا أحد ما كان الحسن يشبه فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: وكان يشبهه في الخلق والخلق، فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: أشبهت خلقي وخلقي. وقال: حسن مني وحسين من علي. وكان الحسن ربما عقد له على أربعة وربما طلق أربعة).

قالوا عن المكي: مصاب بالهستيريا، قدّم بغداد واعظاً فاحتفّ به البغداديون فرأوا في حديثه هذياناً وخروجاً عن موازين الاستقامة فتركوه ونبذوه، ومن هجره وشذوذ قوله:

(ليس على المخلوقين أضر من الخالق)!! قال الخطيب البغدادي: (صنّف كتاباً سماه: قوت القلوب. على لسان الصوفية ، ذكر فيه أشياء منكّرة مستشعّة). ولما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصدقائه فقال له أبو طالب: (إنّ خُتم لي بخير فانثر على جنازتي لوزاً وسكراً. فقال له صديقه: وما علامة الغفران لك؟ قال: إنّ قبضتُ على يدك). فلما حان موته قبض على يد صاحبه قبضاً شديداً. فامتثل زميله ذلك فنثر على جنازته لوزاً وسكراً!!

#### • عدد أولاده:

ثم لو كان للإمام كل هذا العدد من الزوجات لكان له رقم قياسي من الأولاد، وأقصى رقم لذريته اثنان وعشرون !! ولو كان الإمام معيباً من هذه الناحية لشنّع عليه معاصروه ممن ناظروه حول الخلافة ولقالوا له أنت مشغول بالزواج والطلاق، فأنتى لك الحكم؟!

#### • موقف أمير المؤمنين:

ثم لو كان الإمام علي «عليه السلام» قد نهى عن تزويجه وعلى المنبر، فإما أن يكون الإمام الحسن لا يعلم بمبغوضية الأمر لكان لزاماً للإمام عليّ أن ينهاه بشكل شخصي، وإما أن يكون الإمام قد نهاه فلم ينته فاضطر إلى الاعلان، وهذا

أيضاً بعيد لأنه من الذين طهرهم الله «عز وجل» تطهيراً  
فكيف يعصي والده؟!

#### • أصل الفرية:

وقد أشار بعض المحققين إلى أن أصل الفرية قد تعود إلى  
أبي جعفر المنصور الذي عاش صراعاً مع الحسينيين، فلما  
قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن قال: (إِنَّ وَلَدَ أَبِي  
طالِب تركناهم. والذي لا إله إلا هو. والخلافة، فلم نعرض  
لهم لا بقليل ولا بكثير، فقام فيها علي بن أبي طالب فما  
أفلح وحكم الحكمين، فاختلضت عليه الأمة وافتترقت الكلمة  
ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه، ثم قام بعده  
الحسن بن علي، فوالله ما كان برجل عُرضت عليه الأموال  
فقبلها، ودسّ إليه معاوية أنِّي أجعلك وليّ عهدي فخلعه  
وانسلخ له مما كان فيه وسلّمه إليه، وأقبل على النساء  
يتزوّج اليوم واحدة، ويطلق غداً أخرى، فلم يزل كذلك حتى  
مات على فراشه). وعلى هذا نسج النساجون!!

( ٧ )

### حليم أهل البيت عليه السلام

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ، إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ «هود: ٧٤-٧٥».

امتدح الله خليله إبراهيم «عليه السلام» في هذه الآية بأنه حليم. ففي مقابل كل الإساءات التي صدرت منهم، وتجاه كل المعاصي التي كانوا يرتكبونها، كان يرى أن باب الأمل في التأثير عليهم وهدايتهم مفتوح، وتمنى لو تأجل موضوع العذاب إلى حين، فقد كان يمتلك قلباً كبيراً، فكان الحليم الذي لا يسمح لقواه الغضبية وحب الانتقام بأن يسيطر عليه، وكان أواهاً عظيم التأثير وهو يرى الناس في ضياع وانحراف.

#### • حلم الإمام:

وهكذا كان إمامنا الحسن المجتبي «عليه السلام» صاحب قلب كبير، لا تُكدر صفوه إساءات المسيئين مهما بلغت، ولو كانت من أقرب الناس وأحبهم إليه، فضلاً عن أبعد الناس وأكثرهم بغضاً له.

ومن هنا عُرف بأنه حليمٌ أهل البيت، وكانت هذه الصفة من أبرز صفاته، حتى اعترف له بها أعداؤه.

#### • إساءات وعفوَ:

بعد الصلح ووجه الإمام بكلام عنيف، فعن يوسف بن مازن الراسبي أنه: (لما صالح الحسن بن علي «عليه السلام» عُذِلَ) لأمه الناس (وقيل له: يا مُذِلُّ الْمُؤْمِنِينَ و مُسَوِّدَ الْوُجُوهِ)!

بهذه الجرأة والإساءة تحدّثوا إلى سبط النبي وريحانته، إلى سيد شباب أهل الجنة، وكان يملك أن يُطلق العنان لغضبه كي ينتقم لنفسه، ولكنه استوعب الموقف بحلمه، فما عدا أن بين لهم الحكمة من الصلح.

وعن سفيان بن أبي ليلى (أو الليل) قال: (أتيت الحسن بن علي «عليهما السلام» حين بايع معاوية فوجدته بفناء داره وعنده رهط، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين، قال: وعليك السلام يا سفيان، انزل. فنزلت فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه فقال: كيف قلت يا سفيان؟ قال: قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال: ما جرّ هذا منك إلينا؟ فقلت: أنت والله بأبي أنت وأمي، أذلت رقابنا...).

ألم يكن يملك الإمام أن يهيئه انتقاماً؟ أم يكن يملك أن يسلط على الرجل أولئك النفر الذين كانوا معه؟

علينا أن نتعلم من الإمام كيف نتحكم في الاستفزازات التي تواجهنا، لا أن نكتفي بتمجيد الإمام وذكر مآثره.

#### • انقلاب الحال:

روى المبرد وابن عائشة: (أن شامياً رآه راكباً، فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن «عليه السلام» فسلم عليه وضحك فقال: أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعبتنا أعتبناك) لو استرضيتنا استرضيناك (ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك) لو طلبت وسيلة نقل للسفر وما شابه لو فرناها لك (وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنياك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً. فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ، والآن أنت أحب خلق الله إليّ. وحول إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم).

لقد علّمنا أهل البيت «عليهم السلام» ألا ننزلق في حرب

الإهانات والشتائم والسباب، بل أرادوا لنا أن نتمسك بقيم الإسلام العظيمة، وإذا أردنا أن نكون في موقع المدافعين عنهم، حباً لهم، فلا بد أن نتبع هديهم، لأن الحبَّ اتباعٌ واقتداء.

• عَقْلٌ وَتَقْوَى وَخُلُقٌ:

وقد امتلأت اليوم القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي بأنواع الشتائم والإهانات، فلا تسمحوا لأحد بأن يستفزكم، بل كونوا كإمامكم الحسن الذي تفاخرون بالانتماء إلى مدرسته العظيمة.. كونوا الحلماء الذين تتحكم عقولهم في أقوالهم وأفعالهم.. واجعلوا من صيامكم وبركات رمضانكم هذا <sup>(١)</sup> معيناً لكم في الصبر على الأذى، تقرباً إلى الله «تبارك وتعالى» وحفاظاً على الإسلام الذي لم يبق من حقيقته عند الناس إلا القليل.

---

١. ألقى الخطبة بمناسبة مولد الإمام المجتبي «عليه السلام» في النصف من شهر رمضان.

## من حكم الإمام الحسن عليه السلام

على الرغم من وضوح دلالة هذه الكلمة في الأذهان بشكل إجمالي، إلا أن أهل اللغة والأخلاق اختلفوا في تعريفها.

فقد عرّف اللغويون المروءة تارة بأنها: (آدابُ نفسانيّةٌ تحملُ مُراعاتها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات) وأخرى بأنها: (كَمالُ الرُّجوليّةِ).

وعرّفها الأخلاقيون تارة بأنها: (هي كمال الإنسان من صدق اللسان، واحتمال عثرات الإخوان، وبذل الإحسان إلى أهل الزمان، وكف الأذى عن الجيران)، وثانية بأنها: (صيانة النفس عن الأدناس وما يشينها عن الناس)، وثالثة بأنها: (السَّمَت الحسن وحفظ اللسان والاجتناب من السخف وأن لا يأتي الشخص ما يعتذر منه مما يبخره من مرتبته عند العقلاء)، ورابعة بأنها: (مراعاة الأحوال التي تكون على أفضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد، ولا يتوجّه إليها ذم باستحقاق).

وحيث أن الكلمة مشتقة من «المراء» وهو الإنسان ولذا فيبدو

أن أنسب الكلمات التي يمكنها أن تصف هذه الصفة الأخلاقية هي: كمال الإنسانية أو عودة الإنسان إلى إنسانيته الحقيقية.

وقد سئل الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام» عن المروءة: كيف يصبح الإنسان صاحب مروءة؟ فقال:

(شَحَّ الرَّجُلَ عَلَى دِينِهِ) أَي أَنَّ تُمْسِكَ دِينَكَ، وَلَا تَتَنَازَلَ عَنْهُ لِأَحَدٍ، مَهْمَا كَانَ، لِأَنَّ صَاحِبَ الْمَرْوَةِ هُوَ الَّذِي يَصِرُّ عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِمَا تَكُونُ فِيهِ سَعَادَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَسَعَادَةِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ.

(وإصلاحه ماله) فصاحب المروءة لا يفسد ماله بالتبذير والإسراف والصرف في غير محله. وقد ورد في حديث الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» عن صفة المؤمن، أنه قال: (المؤمن حسن المعونة، خفيف المؤونة، جيد التدبير لمعيشته، لا يلسع من جحر مرتين).

ويضيف الإمام الحسن صفة أخرى إلى صاحب المروءة، هي: (قيامه بالحقوق) أي حقوق الناس عنده، فهو ليس من النموذج الذي يأخذ ولا يعطي، ولا من نموذج أولئك الذين إذا توقف الأمر عند حقوقهم طالبوا بها، وقاتلوا من أجلها، وإذا مسّ الأمر حقوق الآخرين منهم، تملّصوا ووضعوا ألف تبرير وتبرير لعدم الالتزام بدفع الحقوق إلى أصحابها.

وفي موقع آخر يقول «عليه السلام»: (لا أدب لمن لا عقل له) فالأدب هو أسلوب تفاعل مع الحياة.. مع الناس.. فقد تتفاعل مع الحياة، ولكن بصورة تكون فيها مذموماً وصاحب شخصية مبغوضة من قبل الآخرين.. وقد تتفاعل مع الحياة، ولكن ما تقسده في العلاقات أكثر مما تصلحه.. ويأتي دور العقل ليوجه الإنسان في أسلوب تعاطيه مع المواقف المختلفة، بما يحفظ له كرامته، ويعكس صورة إيجابية محببة اجتماعياً لشخصيته.

(ولا مروءة لمن لا همّة له) فالكسول يرضى بالمواقع السفلى، وهو قادر على أن يرتفع إلى المواقع العليا، ولذلك لا مروءة له، لأنّ من المروءة أن تكون صاحب همّة عالية، تحاول أن تحرّك طاقاتك فيما ينفع نفسك وينفع الناس والحياة من حولك إلى أعلى المواقع، لأنّ الله «تعالى» لم يخلق طاقاتك لتجمدها، ولكن خلقها لتطلقها، وهي ليست ملكك، وإنما هي ملكك وملك الناس الذين يحتاجونها، وملك الحياة التي تحتاجها.

(ولا حياء لمن لا دين له) لأنّ الدين يوجّه الإنسان ليضبط سلوكه الاجتماعي بوسائل متعددة، من بينها التقوى، والتزام القانون، والأخلاق الفطرية، والحياء، فالحياء يعني أن يمتنع الإنسان عن فعل القبيح مراعاةً للآخرين الذين قد يطلعون

على سوء فعله، فتتهاوى منزلته عندهم، أو يوبخونه على فعله، أو يعاقبونه عليه.

(ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل) فإذا أردت أن تعرف عقل إنسان ما، فاعرف كيف يعاشر الناس؛ هل يعاشرهم بالجميل من أخلاقه وكلماته ومزاجه، أو يعاشرهم بالقبيح؟ وإذا فعل هذا، فسوف يعزل نفسه عن الناس، ويعزل الناس عنه، فلا يفيدهم في شيء، ولا يستفيد منهم في شيء، وبالتالي، فإنه يعمل على إسقاط هذا الجانب من الحياة في المجتمع، بينما إذا عاشرت الناس بالجميل، فتحوا لك عقولهم، واستفدت منها، وفتحوا لك قلوبهم وحياتهم، كما تفتح لهم قلبك وعقلك وحياتك.

(وبالعقل تدرك الدّاران جميعاً) أي أنك بالعقل تدرك الدنيا، لأنه يخطّط لك كيف تعيش فيها، وتجتنب مزلقها ومهلكها وانحرافاتهما، وبه تدرك الدار الآخرة عندما تعمل على تحقيق الأهداف التي خلقت من أجلها.

(ومن حُرّم من العقل) بحيث عاش هواه وشهوته، وجعل حياته تحت تأثير غريزته (حُرّمهما جميعاً) أي الدنيا والآخرة.

## من وصايا الإمام المجتبى عليه السلام

روى الشيخ ابن شعبة الحراني في كتابه «تحف العقول» خطبة للإمام السبط الحسن بن علي المجتبى «عليهما السلام» تتضمن قراءةً للواقع، وتوصيات عديدة:

(أيها الناس، إنه من نصح لله) فكان صادقاً مخلصاً في نيته (وأخذ قوله دليلاً، هُدي للتي هي أقوم، ووفقه الله للرشاد، وسدّده للحسن، فإن جار الله) وهو الذي يلجأ إلى الله ويرجو حماه (آمنٌ محفوظ، وعدوه خائفٌ مخذول).

ولابد لهذا من ثمن يقدمه الإنسان، فما هو؟ (فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقرّبوا إلى الله بالطاعة، فإنه قريب مجيب، قال الله «تبارك وتعالى»: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾).

إن مشكلة الكثيرين أنهم حين يضعفون، يبحثون في الاتجاهات الخاطئة عما يخلصهم من هذه الأوضاع الضاغطة، فيلجؤون إلى ساحر أفّاك، أو مدّعٍ بمعرفة

المستقبل، وكشف للغيوب، وفتح للكتاب، وإلى غير ذلك، إلا أن الإمام «عليه السلام» يؤكد على ضرورة أن يُحسن الإنسان ظنّه بالله «سبحانه»، الذي أخبره أنه قريب سميع بصير قدير مجيب الدعوات، وعلى الإنسان أن يتوجه إليه بطلباته ويدعوه، فهذا هو سبيل الرشاد، وما سوى ذلك دليل على سوء الظن بالله، ودليل على ضعف تقوى الله أو انعدامها.

#### • معرفة ورفعة:

(فاستجيبوا لله وآمنوا به، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا، وعز الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذلّلوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله أن يستسلموا له، ولا يُنكروا أنفسهم بعد المعرفة، ولا يضلّوا بعد الهدى. واعلموا علماً يقيناً أنكم لن تعرفوا التّقى حتى تعرفوا صفة الهدى، ولن تُمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نبذه) وكأنّ الإمام يشير إلى مضمون قوله «تعالى»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ «آل عمران: ١٨٧».

فقد ضلّ أهل الكتاب وأخلفوا ميثاقهم مع الله «عز وجل»

حين كنتموا حقيقة نبوة محمد «صلى الله عليه وآله»، وهم يعرفونها.. وقد قال النبي من قبل: (لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَالْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ) ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب في السهم. القُدَّة بالقُدَّة: يُضْرَبُ مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان (حتى لو دخلوا جُحْر ضَبَّ خرب لدخلتموه).

#### • التلاوة الحقيقية:

(ولن تتلوا الكتاب حقَّ تلاوته حتى تعرفوا الذي حرَّفه) والتلاوة الحقيقية هي التي تكون مع وعي الآيات.. وهذه إشارة أخرى إلى تكرار ما ارتكبه أهل الكتاب من قبل في تحريف مضمون ما نزل عليهم، إما نصاً وإما تفسيراً: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ «البقرة: ٧٥». وقد عمل البعض على تحريف تفسير القرآن.. أما النص فقد حفظه الله «سبحانه».

#### • تمسكوا بآل النبي:

(فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف، ورأيتم الضرية على الله والتحريف، ورأيتم كيف يهوي من يهوي. ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون. والتمسوا ذلك عند أهله) ويشير

بذلك إلى آل النبي، وكأنه يقول: اطلبوا الحق عند أهل بيت محمد «صلى الله عليه وآله» (فإنهم خاصة نورٌ يُستضاء بهم، وأئمةٌ يُقتدى بهم. بهم عيشُ العلم وموتُ الجهل، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم) أي كشف حلمهم عن جهل أعدائهم، لأن الحلم قرينُ العلم والحكمة (وحكمٌ منطقتهم عن صمتهم) فمن خلال كلامهم تعرفون لماذا يختارون الصمت أحياناً، لأنهم أصحاب الحكمة والعقول الرشيدة التي تستدعي أن لا يتكلموا إلا حيث يكون الكلام في محله (وظاهرهم عن باطنهم) فلا نفاق عندهم ولا ازدواجية في الشخصية (لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه. وقد خلت لهم من الله سنةٌ، ومضى فيهم من الله حكمٌ، إن في ذلك لذكرى للذاكرين) فهم لسُنن الله مدركون، ويعلمون أن الأمور تجري وفق القوانين التي أودعها الله في الوجود، فإن لم ينزل الناس عند وصية النبي «صلى الله عليه وآله» بهم، رضوا بحكم الله «سبحانه وتعالى» ومقادير الأمور (واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعاية ولا تعقلوه عقل رواية، فإن رُواة الكتاب كثير، ورُعاته قليل، والله المستعان).

( ١٠ )

## والا.. فمصيبتك أعظم

روى الأمير ورّام بن أبي فراس الحلّي<sup>(١)</sup> في كتابه «تتبيه الخواطر ونزهة النواظر» أو «مجموعة ورّام»، أن الإمام الحسن «عليه السلام» عزّى رجلاً مات بعض ذويه فقال له: (إن كانت المصيبة أحدثت لك موعظةً، وكسبتك أجراً، فهو، وإلا فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك).

• الحزن أمر طبيعي:

من الطبيعي أن يحزن الإنسان عند فقد العزيز، وأن يبكي.. يبكي آدم.. وبكى من جاء بعده.. وهكذا بكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عند فقد ابنه الرضيع إبراهيم.. وبكى حين أخبره الوحي أن الحسين سبطه العزيز على قلبه سيُقتل.. وبكى من جاء بعد رسول الله.. هذه هي طبيعة الإنسان.

---

١. وورام بن أبي فراس الحلّي «ت ٦٠٥هـ» من نسل مالك الأشتر، كان قائداً عسكرياً، ثم انصرف إلى العلم وغدا من العلماء الزهاد المدوحين.

## • البكاء من الفطرة:

والبكاء في نفسه غير مناف للصبر، ولا للرضا بالقضاء.. نعم، بعض الأمور المصاحبة له قد تمثل تعبيراً عن الجزع وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، وقد مثل لذلك في الأحاديث الشريفة بشق الثوب، ولطم الوجه وخدشه، والصراخ بالويل والعيول، وهي أمور منهي عنها في الشرع.

## • أين الخطأ؟

الخطأ أن يحبس الإنسان هذا الحدث في إطار المشاعر، ولا يحوِّله إلى فكرة عملية تغيّر واقعَه إلى الأفضل.. بأن يقترب إلى الله أكثر.. وبأن يعود إلى إنسانيته أكثر.

هذا ما نبّه عليه الإمام الحسن المجتبي «عليه السلام» وكأنّه يقول: إن لم تتعظ، فإن نفسك أولى بالبكاء عليها من بكائك على فقيدك.

## • البكاء على النفس:

ابك على نفسك إن لم تتعظ باللحظات الأليمة التي عايشتها وشاهدت فيها الحقيقة بأم عينك.. حقيقة أن الموت لك بالمرصاد..

وأنّه لا يبقى لك من هذه الدنيا إلا إيمانك وعملك الصالح.

لا البناء الفاخر سيبقى لك..

ولا السيارة الفارهة..

ولا الثروة المتراكمة..

ولا آلاف المشجعين والمصفقين..

ولا المنصب والكرسي الذي قاتلت من أجل أن تحصل عليه..

لن يبقى لك شيء من هذا عندما تواجه لحظة الحقيقة.  
فهل ستكون لحظة مصابك بعزيرك هي لحظة التغيير في حياتك..

أم ستغلق ملف المصيبة بعد أن اكتفيت بملئه بأهات  
الأحزان، لتعود إلى سيرتك الأولى؟

## حكمة حسنية

عن الإمام المجتبی «عليه السلام» أنه قال: (يا ابن آدم، عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً، وارضى بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً).

• العبودية لله:

كثيرون هم الذين يتشوّقون لأن يكونوا من العباد.. كثيرون هم الذين يتطلّعون لأن يأخذوا هذه السمة في حياتهم.. فهي سمة مقدسة وغاية شريفة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ «الذاريات: ٥٦».

إلا أن الإمام «عليه السلام» ينبّه بقوله: (عَفَّ عن محارم الله تكن عابداً) إلى أن نيل هذه المرتبة أمر ممكن حتى لمن قد لا تُسغفه ظروفه للتفرّغ للنوافل والمستحبات الكثيرة.. فيمكنك أن تختصر الطريق وتكون عابداً فيما لو ترفع وتغففت عن محارم الله «عز وجل». فمن الغايات الرئيسة للعبادة تطهير النفس من ارتكاب المحارم.

• الغنى الحقيقي:

(وارضَ بما قسم الله تكن غنياً) ولو كنت طموحاً على المستوى المادي، فإنَّ الغنى الحقيقي ليس في كثرة المال، بل في راحة البال، حين تبذل جهدك فيأتيك رزقك وترضى به، وإن كان أقل بكثير مما عند الآخرين.

فالراضي بما قسمه الله له يؤقلم نفسه وأوضاعه مع إمكانياته، ولا ينظر إلى ما عند الآخرين ليعيش دوامة الحسرة ومضاعفات الألم النفسي: ﴿وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ «طه: ١٣١».

• إسلام وسلَم:

(وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً) فالإسلام ليس مجرد وسام تضعه على صدرك، بل مسؤولية وعمل، ومن هذه المسؤوليات حسن الجوار، ليس في شهر رمضان فقط من خلال بعض المظاهر التي نشاهدها هنا وهناك، بل على طول الخط. ومن خلاله نساهم في تحقيق السلم الأهلي والتعايش والترابط بين أبناء المجتمع.

• كن عادلاً:

(وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن

عادلاً) وهذه سمة أخرى من سمات الإنسان المؤمن، العدالة، فكما لا تحب أن تُظلم، كن أنت العادل في التعامل مع الآخرين. وإن أردت معياراً للعدالة، فانظر إلى ما تحب وتكره، وحينئذ لا تسمح بأن يصدر منك من القول والفعل والمشاعر ما تكره أن يصدر بحقك.. واسع أن تعامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به من الاحترام والتقدير والإنصاف والصدق والإخلاص.

#### • رسالة الإسلام:

إن رسالة الإسلام هي رسالة بناء هذه الحياة على أساس العبودية لله «سبحانه وتعالى»، وجعل القيم الإنسانية بمثابة الأطر التي نرسم من خلالها معالم تفاعلنا مع الآخرين بما يحقق الخير والأمن وطمأنينة النفس.

## سلامة الفكر

عن الإمام المجتبى «عليه السلام» أنه قال: (عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِي مَأْكُولِهِ كَيْفَ لَا يَتَفَكَّرُ فِي مَعْقُولِهِ، فَيُجَنَّبُ بَطْنَهُ مَا يُؤْذِيهِ، وَيُودِعُ صَدْرَهُ مَا يُرْدِيهِ).

من الطبيعي والضروري أن يهتم الإنسان بنوعية غذاء جسمه، وسلامته من المؤذيات.. فسلامة الجسد ضمانة الاستمرار في الحياة ما شاء الله لهذا الإنسان أن يبقى، ومقدمة ضرورية للعطاء والإنتاج.

وكما يحتاج الجسد إلى الغذاء، وأن يكون غذاء سليماً، فإن العقل يحتاج إلى الغذاء، وأن يكون غذاءً سليماً.

. ولكن ما أكثر الذين يولون اهتماماً بسلامة المأكول، ولا يولون مثل هذا الاهتمام لغذاء عقولهم، في الوقت الذي تتحد فيه قيمة الإنسان بمقدار ارتقائه الروحي والمعرفي والأخلاقي.. وقد روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: (من كانت همته ما يدخل بطنه، كانت قيمته ما يخرج منه).

وعنه «عليه السلام» أنه قال: (أَمَقَّتْ الْعِبَادَ إِلَى اللَّهِ

سُبْحَانَهُ مَنْ كَانَ هَمُّهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ). وكما أن في المعروض ما هو غذاء جالبٌ لأمراض الأجساد، فإنَّ في عالم الفكر والثقافة ما يجلب أمراض العقول.

واليوم تتجلى صورٌ عديدة ومتنوعة لمثل هذه الأمراض:

- الإلحاد واللا دينية التي تغزو مجتمعاتنا بعنوان التنوير.
- والأنانية التي تدمر أرواح شبابنا بعنوان الليبرالية والتحرر.
- ثم التطرّف والكراهية التي تُشرعن بذريعة الانتصار للدين والمذهب.

• وخزعبلات الملل الوثنية التي تلبس ثوب الإسلام وتُقدّم تحت اسم علوم الطاقة وعلم الفيدا وأمثال ذلك.

إنها الثقافات السقيمة والضارة التي يجب أن نحذر أن تُسمّم عقولنا وأرواحنا وأخلاقنا، كما نحذر أن نُسمّم أجسادنا بالطعام الملوّث والفاسد. ومسؤولية الفرد تجاه نفسه، ومسؤولية الوالدين تجاه الأبناء، لا تقتصر على توفير ما له علاقة بالجانب المادي من الحياة ببناء الأجساد وضمان سلامتها وتلبية احتياجاتها، فهذا إنما يمثل جزءاً من الصورة، وأما الأجزاء الأخرى من الصورة فتختص بسلامة الروح وبناء العقل وتكامل الأخلاق، وهي مسؤوليتنا أيضاً تجاه أنفسنا وتجاه أبنائنا.